

أريد أن أكون معلمةً كأُمِّي

سماح أبو رميلة



ما فعلته بي لم يهزمني، بل على العكس تماماً، زادني إصراراً وتحدياً، وأدركت أنها لا تستحق أن تكون نموذجاً لمعلمة، بل أُمِّي من تستحق ذلك، وأنا أيضاً. قررت حينها أن ما تركته من علامة على جسدي وفي نفسي أن يشكل لي حافزاً يدعمني دوماً نحو تحقيق هدي في أن أصبح عكسها تماماً. معلمة تعامل كل الأطفال سواسية بغض النظر عن اختلاف قدراتهم، ألا أعرض أي طفل لأي أذى مني، ولا أدعه يشعر بأي دونية، أن أعلمهم وأتعلم معهم ونرتقي سوياً نحو الأعلى. هذا ما فعلته لأتغلب على كل ما تركته المعلمة في داخلي، ولم أسمح لها بتغيير الصورة الوردية لأُمِّي المعلمة، ولمهنة التعليم التي كنت دوماً أراها أجمل المهن وأكثرها رقياً.

بدأت مسيرتي في مهنة التعليم كمساعدة معلمة. مساعدة يعني أنها لا تملك أي سلطة في الصف، أعمل ما تمليه أو تطلبه مني مربية الصف الأساسية، لكن لم أتذمر يوماً من موقعي هذا، لأنني كنت مؤمنة بأنها الخطوة الأولى نحو تحقيق حلمي، فتعلمت من المربية الكثير، وتقبلت

لقد كانت أُمِّي معلمة، وهذا ما جعلني أختار أن أصبح معلمة وأحقق ذاتي. أُمِّي كانت معلمة وأحبت مهنتها كثيراً، وأخلصت لها جداً، واعتبرتها أجمل المهن وأعظمها رسالة. فكانت دوماً تدفعني وتحفزني لأكون مثلها، وأكمل مسيرتها التي بدأتها. أمنت بهذه المهنة، وتخيلت نفسي المعلمة التي أنا عليها اليوم منذ أن كنت طفلة، حين كنت أجمع أقاربي وأطفال الحي وأوزع عليهم الأوراق وألقنهم ما يكتبون. كم كان هذا الدور يشعرنني بسعادة كبيرة.

أما الدافع الثاني، فقد كان مراراً كمرارة الحلق حين تعتصر غضباً وألماً من شخص يشعرك دوماً بأنك ضعيف، ويقوم بإهانتك وتوبيخك أمام أطفال آخرين من سنك، لأنك لم تمتلك تلك القدرات التي يمتلكونها. قدرات تعمل جاهداً على أن تتحلى بها، لكنك لست المسؤول المباشر عنها. إنها معلمتي التي لم تحتضني يوماً حين أخطأت أو أصبت، ولم تتوان لحظة عن تذكيري بأنني ضعيفة القدرات بالمقارنة مع زملائي في الصف. معلمة آذت مشاعري وظلمتني كثيراً، وأشعرتني بأنني أقل من الجميع، لكن

منها كل ملاحظة بصدر رحب. فهي لم تتوان لحظة عن تقديم كل معرفة وخبرة تمتلكها لي، شجعتني ودعمتني كثيراً، ما شكل لدي حافظاً لأعود وأكمل تعليمي الجامعي لأصبح معلماً.

أذكر في أحد اجتماعات الهيئة التدريسية مع مديري المدرسة التي أعمل فيها، كان من المفترض أن يعلن قرار تعييني مربية صف أساسية، وكنت فرحة جداً بهذا القرار، لكن، فجأة، قام أحد المدراء بالاعتراض على هذا القرار مبرراً ذلك بأنني شخص غير مؤهل، بما أنني لا أملك الشهادة، ولا أستحق أن أكون مربية أساسية، وقام بتهميشي أثناء الحوار. أذكر أنني لم أشعر بسوء حينها من كلامه بقدر ما شعرت بسوء من نفسي، لأنني لم أعمل جاهدة أكثر على متابعة تعليمي، فقررت حينها أن أفعل مهما كانت الظروف. فكانت الخطوة التالية هي التركيز على موضوع الدراسة الجامعية الذي شكل نقلة نوعية في حياتي، وجعلني أشعر بأنني أحقق ذاتي، على الرغم من

أن سنتي الأخيرة كانت حافلة بالمصاعب، حيث فقدت ابني جراء حادث، وفي الوقت ذاته طلب مني المدير أن ألتحق بدورة مع مؤسسة عبد المحسن القطان حتى أطور نفسي أكثر. كنت في حالة نفسية صعبة، ذقت فيها طعم الفقد بأصعب أشكاله، فقررت أن التحق بالدورة على أستطيع الانشغال أكثر عن التفكير بمن فقدته، وليس بدافع الإيمان بأن الدورة ستضيف لي شيئاً جديداً لا أعرفه.

بدأت مرحلة جديدة مع برنامج التكون المهني لمربيات الطفولة المبكرة مع «القطان»، فمع بدء اللقاءات شعرت بأن المدربين يتحدثون عن شيء مختلف لم أسمع به من قبل، لا في جامعة ولا في دورات أخرى. شدني الموضوع كثيراً. فداومت على متابعة اللقاءات والتعلم والتطبيق المباشر مع طلابي الذين شعرت بتغير كبير على شخصياتهم وثقتهم بأنفسهم وبحبهم ودافعيتهم الأكبر للتعلم. شعرت بأنني أصبحت أكثر سعادة ورضى بما



جانب من تطبيقات المربية سماح أبو زميلة مع أطفالها في روضة دار المعرفة، في كفر عقب.



أقدمه لهم، فهو تعلم جديد لي ولهم، أشعرتني بأهمية أن يذوّت الطلاب تعلمهم حتى يصبح جزءاً منهم، وليس شيئاً مفروضاً عليهم أو عابراً. فمن الأهمية أن يتعلموا أموراً تفيدهم في المجتمع والحياة، وتساعدهم أن يجدوا طريقهم فيها.

ها أنا اليوم أشعر بكثير من القوة والفخر بنفسني لما حققته لذاتي ولطلابي. حصلت على شهادتي، وصقلت ممارستي ومعرفتي أكثر بانتسابي إلى «القطان». فقد أصبحت معلمة أفضل بكثير من تلك التي علمتني يوماً ما، أو من التي أراد المدير أن أكونها بعد حصولي على شهادة تؤهلني للعمل. معلمة كما حلمت بي أمي، معلمة أحذو حذوها، ولكن أن أكون أيضاً أفضل منها.

أعمل الآن معلمة أساسية لطلاب أتعلم كل يوم شيء جديد منهم، وأتعلم معهم كيف نواجه التحديات، فأذكر

أولى التحديات التي واجهتني، وهي تفكك الوحدة بين الطلاب، وتعاملهم السلبي مع بعضهم البعض القائم على الألفاظ النابية والعدوان الجسدي فيما بينهم، فأدركت حينها أن ما تعلمته من برنامج «القطان» من أهمية بناء الطلاب في الصف للعمل كفريق واحد قد آن أوان تجربته، عله يحل المشكلة. وهذا فعلاً ما قمت بعمله؛ بدأت مشروعاً تطبيقياً جديداً يقوم، بشكل أساسي، على بناء فريق واحد، يعمل بشكل تعاوني، لإنجاز مهمات تحقق في داخلها تعلماً مرتبطاً بالمنهاج من جهة، ومن جهة أخرى بقيم التعاون والعمل بروح الفريق والتكامل والإصغاء والتفكير البنائي. كم كانت سعادتي كبيرة حين عملت الدراما، وما تمنيتّه على حل المشكلات التي واجهتها مع طلابي لهذه السنة، وكم أشعر بالفخر بأنهم، اليوم، أطفال مختلفون عن أولئك الذين بدأت معهم.

روضة دار المعرفة-كفر عقب



عمل فني أنتجه أطفال روضة دار المعرفة مع مربيتهم أبو رميلا.

